د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

رمضان يبني القِيَم

مدرسة في تعليم الأفكار
والمفاهيم وبناء القيم
وتشكيل السلوك



دمشق


يبني القِيَم



الطبعة الثانية

١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

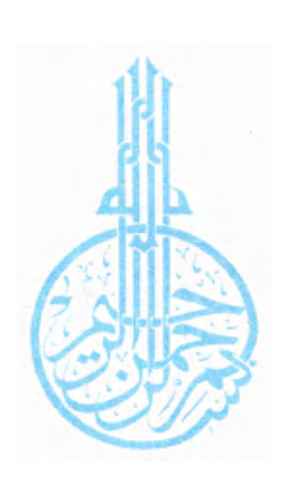
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي



مدرسة في تعليم الأفكار والمفاهيم
وبناء القيم وتشكيل السلوك








المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ ، **وبعد:**

- فإن المتأمل في شريعة الله تعالى، الممعن في أسرارها، سيجد بأن كل عبادة من العبادات التي شرعها الله تعالى، لها حِكَم، وأسرار، وغايات.

ومن فقه المسلم وكمال وعيه: أن لا تلهيه الصور عن الحقائق، والأشكال عن المعاني، بل ينبغي عليه أن ينصرف فكره إلى أسرار هذه الشريعة وحقائقها، كي يتعبد الله تعالى على وعي وبصيرة.

فإنَّ خلل التصورات وضبابية المفاهيم من أعظم الأدواء التي تقف في طريق النهضة، كما أنك ترى كثيرين يصومون رمضان على سبيل المثال، ويكون هَمُّ الواحد منهم مصروفاً إلى صورته الشكلية، فيترك طعامه وشرابه، ويتجلّد لذلك

الســـاعات الطوال في يومه، وفي الوقت ذاته تعبث جوارحه في كل شيء، ولا يرى في ذلك شـــيئاً، فضلاً أن يراه مؤثراً في عبادته، وتراه في الوقت ذاته يصوم مع أمة الإســـلام، فلا يشكّل له هذا المعنى كبير همٍّ، ولا يرى في ذلك درساً صالحاً للحياة، وقد يصوم وهـــو في الوقت ذاته مختلف مع والديه وزوجه، فضلاً عن خلافه مع جاره وصديقه وزميله، ولا تمثّل له هذه المشاهد الجماعية المدهشة شيئاً، ويخرج من هذه المناسبة في النهاية ولا جديد.

- **إن رمضان مدرســـة ضخمة تُعلّم جملةً من الأفكار والمفاهيم، وتبني القيم، وتشكل سلوك الإنسان**، ويخرج منها وقد تشـــبّع بهذه المعاني الكبار، وأصبـــح فرداً قادراً على العيش بفاعلية.

وتأهيل الإنســـان، وبناؤه، وتصحيح أفكاره ومفاهيمه، وتشكيل تصوراته؛ هو الأصل من فرضية العبادات، وإلا فما قيمة هذه الشـــريعة إذا كانت مجرد صور وأشـــكال، يجهد فيها الإنسان، ثم لا يكون لها ذلك الأثر الكبير في تأهيله لمستقبل الأيام؟!..

- وأحســـب أنني بذلت وســـعي في جمع هذه الدروس، واســـتلهام معانيها، وتأليف مقاصدهـــا، حتى خرجت بهذه الصورة التي تراها بين يديك.

وأجزم أن هذه المقاصد والمعاني، لو استقبلها الإنسان بوعي، وفرض لها من سنام وقته، وعُنِيَ بها، ويمَّم وجهه ومشاعره وعقله إليها؛ لخَرَجَ ناجحاً وبامتياز من هذه المدرسة الربانية التي لا تتجاوز مراحلها ثلاثين يوماً فحسب.

- **وإني على يقين بأن هذه المعاني ستكوّن آمالنا التي نريد، بشرط أن تُقرأ قراءة واعية**، ويقام لها سوق العمل في حياة أصحابها، ويتعامل معها الدعاة والآباء والمربون على أنها مصدر لتأهيل أفراد الأمة، ويدفعون بكل جهودهم لتحقيق تلك الآمال.

والله المسؤول أن يبارك في حرفها، ويمدَّ في أثرها، ويحقِّقَ بها تلك الطموحات التي ننشدها، وحسب الإنسان أن يشارك بجهده، وما بقي على ربه تعالى، وهو العون، ومنه التوفيق، وعليه كل شيء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المؤلف

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

بلاد الحرمين، محافظة القنفذة، حلي





مباهج الفرح

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

• **الفرح بمواسم الطاعات، والاستبشار بقدومها؛ مظهرٌ من مظاهر هذا الدين القويم**، ونافذةٌ من نوافذ الجمال على مباهجه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

كان ﷺ يبشر بقدوم شهر رمضان، ويدعو كل من حضر مشاهده ولقي أيامه أن يفرح بقدومه، وأن يسعد بلقياه، وتجري في مشاعره لذائذ الحياة، قال ﷺ: «**جاءكم شهر رمضان، شهر تُفتح فيه أبواب الجنة، وتُغلق فيه أبواب النيران، وتُغَلُّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حُرِم**».

تخيّل وقد منّ الله تعالى عليك بلقاء هذا الشهر، وأنت تنعم في صحة وعافية، وأمن وطمأنينة، وراحة واستقرار!.. تخيّل أن عاد عليك رمضان، وأنت حيٌّ،

وغيرك في عداد الموتى! صحيحٌ معافى، وغيرك قد أضناه المرض، وأدمى جسده ومشاعره إلى أقصى مدى! ما أحوجنا للفرح بنعم الله تعالى علينا، وما أحوجنا لمشاعر استلذاذ النعم في كل حين.

- **الفرح بأيام الطاعة ومواسم الخيرات من دلائل الإيمان، وهو أعظم الشواهد على صحة القلوب، وسلامتها من الأمراض**، وكم من يوم طاعة، وموسم خير، زفَّ صاحبه إلى مباهج الحياة! وهذا الفرح لله وفي الله، داعيه زيادة الخيرات في حياة صاحبه، والقربى إلى الله تعالى، وليس الفرح المجرد عن هذه المعاني، فمثل هذا لا قيمة له، ولا يستحقُّ هذا المعنى الكبير.

- **من دلائل هذا الفرح ومشاهده الحية: أن يصلح الإنسان ما بينه وبين ربه**، وأن يصدق في توبته، وأن يتخلى عن كل ما يشين طريقه إلى الله تعالى، وأن يعتني بترتيب وقته، ومعرفة لحظات زمانه الفاضلة، وأن يخطط لاستثمار هذا الشهر قدر وسعه.

ومن ذلك: كتابة أهدافه؛ من صلاة، وورد، وتلاوة، وصدقات، وبر، ومعروف قدر وسعه؛ فإن من عرف شرف زمانه حرص على استثماره قدر وسعه، وجهد ألا تفوته أيام الأرباح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

* * *

٢

مشروعك الرمضاني

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

- رقي النبي ﷺ المنبر يوماً، فقال: «**آمين، آمين، آمين**»، فلما قضيت الصلاة سأله الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين عن سرِّ ذلك التأمين؛ فقال ﷺ: «**جاءني جبريل الساعة، فقال: يا محمد مَنْ ذُكِرَتْ عنده فلم يصل عليك رغم أنفه، ومن أدرك والديه أحدهما أو كلاهما فلم يدخلاه الجنة رغم أنفه، ومن أدرك رمضان، فلم يغفر له رغم أنفه**». ذكّرني هذا الحديث، وحديث: «**جاءكم شهر رمضان، شهر تُفتح فيه أبواب الجنة، وتُغلق فيه أبواب النيران، وتُغَلُّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ**» بأن **شهر رمضان ينبغي أن يتحوّل في فكر المستقبِلِ لَهُ إلى مشروع، وقضية، وهدف ضخم، حتى يبلغ منه الإنسان أمانيه.**



• **مشكلتنا المزمنة أننا لا نحسن استقبال الفرص،** ولا تهرع أرواحنا إليها بالحجم التي تستحق، وقد تفوت ونحن في الوقت ذاته لم نشعر بفواتها، ولم نقلق على ضياع تلك الفرص، وما لم تتحوّل الفرص الضخمة إلى مشاريع، فقد لا نبلغ منها تلك الآمال التي نريدها، ونرقبها مع الأيام.

• **المشـــاريع التي يمكن أن تســـتثمر في هذا الشهر كثيرة جدّاً،** ومـــا حاجتها إلى شـــيء حاجتها إلـــى أرواح ناهضة، تدرك فرصها، وإلى تركيز يبعث فيها الحياة.

- **يمكن أن يكون مشـــروعك في هذا الشـــهر: توبة صادقة،** تســـتدرك بهـــا ما فرَّطـــت من عمـــرك وزمانك، وتســـتقبل فيها عفو ربك ورحمتـــه ورضاه.. لقـــد آن أوان الاستعتاب من ربك، وتجريد قلبك له، وصدقك معه، يكفي أيام الظلام، وقد آن ميعاد الفرص من جديد.

- **ويمكن أن يكون مشروعك: تجديد الصلة بالله تعالى** في عبادتك وسائر شؤونك، ثمة شعث كبير في نفوسنا، يحتاج إلى إعادة ترتيب وتنظيم، عاد رمضان على بعضنا، وما زال يعاني من خلل كبير في صلاته، وضعف في علاقته بكتاب ربه تعالى، وتعدٍّ على محارم الله تعالـــى، فتنازعته الفوضى من كل مكان وما يزال! وهذا الشـــهر من أعظـــم الفرص لإعادة هذه العلاقة مع الله تعالى، وترميم شعثها، وإعادة وهجها من

جديـد.. ليـرى الله تعالى منك خيـراً في الصـلاة، أعظم فرائض الإسلام على الإطلاق، لتستكثر من نافلة الصلاة، والصدقة، والذكر، وسائر الأعمال، وتذكّر قول ربك تعالى: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه**».

- **ويمكن أن يكون مشروعك: إعادة علاقتك بكتاب الله تعالى، تلاوةً وحفظاً وتدبراً**، وذلك من خلال عقد لقاءات تدبرية في مسجد الحي، أو مع مجموعة من الزملاء والأصدقاء وطلاب العلم.

- **ويمكن أن يكون مشروعك: القيام على حوائج الناس**، وإعانتهم على بلوغ أمانيهم، وتحقيق آمالهم، وإصلاح وشائج القربى فيما بينهم، وجمع الكلمة فيما بين المختلفين، وإعادة وهج الحياة في حياتهم وواقعهم.

- **ويمكن أن يكون مشروعك دعويّاً**، يستثمر إقبال الناس، وينتهز الفرص في دعوتهم، ويجهد في إيصال الحق إليهم من خلال برنامجك كداعية، أو من خلال قلمك وفكرك، أو من خلال دورك كمُنَسِّق لجملة من الدروس واللقاءات والمحاضرات.

- **إن الدرس المهم في هذا الشهر: أن تدرك أنه حقيقٌ بالاستثمار، وقابلٌ لأن تصنع منه وفيه قصةً للحياة.**







الأهـــداف

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

• **هدف في حياتك أثمن من ألف هامش خالٍ من هذا المعنى الكبير**، وما قيمة الإنسان في الحيــاة لولا تلك الأهداف التــي يناضل من أجلها، ويكتــب حظه الكبير في الحياة من خلالها؟!.

• **يعلمنا رمضان: قيمة الهدف في الحياة**، ويثير في كوامن نفوسنا هذا المعنى، ويدعونا لنخوض رحلة هذا الشهر المبارك، ونحن نرقب أهدافنا، ونحلم بتحقيقها في نهاية الطريق.

قال تعالــى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال ﷺ : **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»**.



وقـــال ﷺ : «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وقـــال ﷺ : «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

فرق بيـــن صائم لهذا الشـــهر كعادة مـــن العادات، أو يصوم أيامه، وليس في فكره وذاكرته هدف يريد تحقيقه، ولا يشعر بأنه يعيش لحظات تحدٍّ مع نفسه، لتحقيق ذلك الهدف الكبير، وآخر يصوم وعينه وقلبه ومشـــاعره تعيش ذلك التحدي، وترقب تلك النهايـــة، وتنتظر الفوز الكبير بتحقيق مقاصد الصيام الكبرى.

القارئ لقول الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعلم أنه أمام هدف ضخم، والمتأمل لقول رسوله ﷺ : «**إيماناً واحتساباً**» يدرك أن أمامه مهمة كبيرة، وتحتـــاج إلى تضحيات، ومن وعي الإنســـان وفقهه أن يعي تبعة هذه الأهداف، وأن يقوم بتكاليفها مهما كانت كبيرة وضخمة.

- **الحياة الفارغة من الأهداف حياةٌ خاليةٌ من الحركة،** والجهاد، وانتظار لحظات النصر، والبهجة، ومشـــاعر الفرح والألق، وما يصنع إنسان بأيام تمضي من حياته، وهو لا يطارد فيها هدفاً، ولا ينتظر في نهايتها شيئاً يستحق الفرح؟!.

- **إن الأهداف التي نكتبها لأنفســنا نصف المعركة، والنصــف الآخر من المعركة هي أنفاســنا ومشــاعرنا وخلجات قلوبنــا، والجهود التي نبذلها في ســبيل تلك الأهداف التي ننتظرها، ونرقب تحقيقها مع الأيام بشوق.**

- **يدرِّبك هذا الشهر على قيمة الأهداف وعظمتها في حياتك**، ويؤهِّلك باقتدار على العيش من أجل تحقيقها، ولو أخذت من عمرك زمناً. ومن فقهك وكمال عقلك: ألَّا تنتهي قصة الأهداف في حياتك بنهاية شهرك، وإنما تبدأ بنهايته، وتأخذ حقها من العمل بتوديع أيامه ولياليه.

- **تعلّمك هنا كيف تناضل من أجل الأهداف**، وتدرّبك على أن تكتب لنفسك أهدافاً ليومك، وأسبوعك، وشهرك، وعامك، فيما يُســتقبل مــن عمرك، وتؤهلــك كيف تعيش مجاهداً في سبيل تلك الأهداف حتى موعد النهايات.





٤

تعظيم شعائر الله تعالى

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

• **تعظيم شعائر الله تعالى من أعظم المعاني التي شُرع من أجلها شهر رمضان**، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

لعلكم تقومون لله تعالى بحقّه، وتأتمرون بأمره، وتجلُّون شعائره، وتنتهون عن كل ما نهى عنه وحذّر منه، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

• **الصيام ليس تخلِّياً عن مأكول ومشروب فحسب**، أو تجربة يختبر فيها الواحد منا مقدار صبره على الجوع والعطش حتى غروب الشمس، **وإنما طاعة لله تعالى، واستسلام له، وخضوع لأمره، وتوقّف عند حدوده**، وهو

المعنى الكبير للعبودية التـي يحبّها اللّٰه تعالى من عباده في كل أمر ونهي.

تخيّل نفسك وأنت في شـدّة الحر والجوع والعطش، وأمامك وأقرب ما يكون إليك كوب الماء البارد، وتتأبّى على ذلك، وتجاهد جوعك وعطشك، وتتحمّل كل شيء من أجل طاعة ربّك تعالى!..

إن هـذا الصمود أمـام شـهواتك، وهذا الاستسـلام والخضـوع لربك، هو الـذي يريده اللّٰه تعالـى من عبده، ويثيبـه عليه بأعظـم ما يتخيّل فـي النهايـات: «**للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه**».

وهذه صورة واحدة من صور تعبّد الإنسان لربه، فكيف لو رآه اللّٰه تعالى، وهو يستعلي عن بقيه الشهوات، ويرفض أن يقع في حضيضها، ويأبى أن يكون عبداً لغير اللّٰه تعالى فيها؟!.

- **هذا المعنى من الاستسلام يجب أن يجري في كل جوارحك**؛ فـلا ترى عينك ما حـرّم اللّٰه تعالـى، ولا يقع لسـانك في شـيء زجرك اللّٰه تعالى عن قوله، ولا تسمع أذناك ما نهاك اللّٰه تعالى عن سماعه.

الصوم عبادة، يتجلى فيها تعظيـم اللّٰه تعالى للدرجة التي قال اللّٰه تعالى فيها: «**كل عمل ابن آدم له، إلّا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به**».

ويدلُّك على ذلك: ما جاء عن النبي ﷺ، قال: «**من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

وقول الزور هو الكذب، والغيبة، والفسوق، وسائر المعاصي، فالمسألة ليست صورة صائم عن الطعام والشراب فحسب، وإنما استسلام عام لله تعالى في كل جوارحك، وتعظيم لله تعالى للدرجة التي يتعرّض فيها الصائم للخصام والسباب والجدال في عرض الطريق، فلا يزيد على قوله: «**إني صائم**».

حين يتحول الإنسان إلى عبد محض لله تعالى في كل شيء، ويعظّم ربه تعالى لهذه الدرجة، ويستعلي على شهواته لهذا الحد، تتحقق مقاصد الصيام، ويصبح حينها عبداً لله تعالى في كل شيء: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].





٥
الفُرَص

الحمد للّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

- **المفاهيم من أعظم الأدوات التي تشـكّل شخصية الإنسان سلباً، أو إيجاباً**، وإذا أردت أن تتعرف على هذا المعنى، فاقرأ قصة عكاشة رضي الله عنه وقد كان جالساً في جمع من الصحابة ورسول اللّه ﷺ يحدث، ويقول: «**يدخل الجنة يوم القيامة سبعون ألفاً بغير حساب ولا عقاب**» فقام إليه عكاشة رضي الله عنه وقال: ادعُ اللّه يا رسول اللّه أن أكون منهم. فقال ﷺ: «**أنت منهم**». فسمع الآخر فأقبل إلى رسول اللّه ﷺ وهو يقول: ادعُ اللّه يا رسول اللّه أن أكون منهم. فقال ﷺ : «**سبقك بها عكاشة**».

- **يعلّمنا رمضان أنه شهر الفرص**، قال ﷺ : «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**».



وقال ﷺ : «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وقال ﷺ : «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وإذا تأملت هذه النصوص **أدركت مساحة الفرص التي تنتظرك في هذا الشهر، وأن غنائمها فوق تصورك، ومن كمال وعيـــك، وفقهـــك. وتوفيقـــك: أن تحرص على استثمارها قدر وسعك،** وألا يفوتك منها شيء ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

- تخيّل في شهر واحد فقط **ثلاث فرص**، كل واحدة في متناول يدك وفي إمكانك، وتخـــرج منها في النهاية بهذه النتيجة الضخمة: «**غُفر له ما تقدم من ذنبه**»..

تنتهي بها أوزارك كلها، وترد منها إلى مراضي ربك، وتلقى بها جنان الخلد في النهايات.

ثم تأتـــي **فرصة رابعة** تمكّنك من بلـــوغ آمالك إلى أبعد مـــدى: «**من فطّر صائماً كان له مثل أجره**».. ولو أنك اهتبلت هذه الفرصة ففطَّرت ثلاثين صائماً، تكون في مقام من صام شهراً آخر، فكيف بمن وسّع أثره وزاد في صدقته، ففطّر في كل ليلة أضعاف هذا العدد، موقناً

بأثر الفرص، ومدركاً لأثرها الكبير في مستقبل حياته وأيامه؟!..

ثم تأتي **فرصة خامسة**؛ وهي: أن **العمرة في هذا الشهر** في مقام حجة مع النبي ﷺ، كما في البخاري: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ، قَالَ لِأُمِّ سِنَانٍ الأَنْصَارِيَّةِ: «**مَا مَنَعَكِ مِنَ الحَجِّ؟**» قَالَتْ: أَبُو فُلَانٍ - تَعْنِي: زَوْجَهَا - كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ حَجَّ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالآخَرُ يَسْقِي أَرْضاً لَنَا، قَالَ: «**فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً، أَوْ حَجَّةً مَعِي**».

- **الدرس الضخم الذي يجب ألا يفوتك في نهاية هذا الشهر: أن تزداد وعياً بالفرص**، وأن تكون عينك مفتوحة على العارض منها في الطريق، وألّا تتوانى عن اغتنامها مهما كانت كلفتها في ذلك الحين؛ فكم من فرصة لا تكلف وقتاً، ولا جهداً، ولا تفكيراً، ولا حتى مالاً، ثم تزفّ صاحبها في النهاية إلى الجنان!..





٦ الـوقـت

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

- **الوقت هو الحياة، ولا أنفس في عمر الإنسان من هذا المعنى، ومن استثمره في مشروع، أو قضية، أو هدف، بنى لنفسه مجد الدارين.**

وقد أقسم الله تعالى به في كتابه: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَالضُّحَىٰ﴾، ﴿وَالْعَصْرِ﴾، ﴿وَاللَّيْلِ﴾، ولا يقسم ربك إلَّا بعظيم.

وإذا تأملت شهر رمضان أدركت ثمن اللحظة، وعرفت أثرها الكبير! لو أن إنساناً أكل أو شرب بعد أذان الفجر متعمّداً؛ فصومه باطل، ولو أنه بقي يومه كله صائماً، ثم أخذ جرعة من ماء متعمّداً قبيل الأذان؛ فلا قيمة ليومه كله، ولا تبرأ ذمته إلَّا بقضاء ذلك اليوم.

- **يعلِّمنا رمضان أن الاحتفال بالوقت صناعة الكبار، وأن من فرّط في وقته لم يستقبل سوى الندامة.**



وفي الحديث: قــال ﷺ : «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس؛ الصحة، والفراغ**».

- إن ثلاث دقائق كافية لصلاة ركعتين..

- وإن عشرين دقيقة كافية لقراءة جزء من القرآن..

- و(**لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**) مئة مرة، لا تستغرق سوى سبع دقائق..

- وإذا قرأت خمسة وعشرين حديثاً من البخاري في كل يوم أتيت عليه كاملاً في ثلاثة أشهر..

- وساعة أسبوعية تكفي لزيارة رحمك..

- ونصف ســاعة يومية تقضيها في المشي تقضي على كثير من عللك وأمراضك..

ومن فقه قدر هذا المعنى أخذ منه ما يكفي للحياة.

- **لقد حكى القرآن حســـرات كثيرين لم يفقهوا هذا المعنى، ولم يســـتثمروه في عائدٍ صالحٍ مع الأيام، حتى ضاعت منهم أعظم موارد التوفيق:**

- قال تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ۞ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ۞ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٤].



- وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

- وحكى النبي ﷺ: أن سؤالاً سيُدار عليه في يوم العرصات: «**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه...**».

• **إن من فقهك، وكمال وعيك، وعقلك: أن تحتفل بوقتك، وتحرص عليه غاية الحرص، وتجنّبه الضياع ما استطعت إلى ذلك سبيلاً**، ومن تأمل واقعه ورأى حياة الناس اليوم، علم كم هي الأوقات الضائعة، والمهدرة في وسائل التواصل الاجتماعي، والمجالس العامة، والمشاهدات الفارغة التي ليس فيها سوى الضياع..

وكم من حسرةٍ على فائت بعد فوات أوان الندم: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].





تعظيم السُّنَّة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

- **من أكثر المناظر دهشة:**

ـ منظر تلك الأسرة التي أذّن المؤذن، وأقبلت على سفرتها؛ فلم تجد الرطب، وأخذت تبحث جاهدة عنه، ومضى الوقت وهي مصرّة على ألَّا تتناول شيئاً من تلك النعم الممتدة بين يديها قبل الرطب، وكل ذلك لأنه بلغها أن نبيَّها ﷺ كان يفطر على رطبات.

ـ ترى الإنسان في ليله آكلاً شارباً، فإذا أوشك الفجر توقَّف عن كل شيء، إجلالاً لقول ربه تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ـ ويصبح صائماً وكل شيء بين يديه، لا يستطيع أن يمد يده إلى شيء منه، ينتظر حديث نبيِّه ﷺ:



«**إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا فقط؛ أفطر الصائم**».

- يُعجّل بفطره عند أول الأذان؛ لأن نبيَّه ﷺ قال: «**ما يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطور**».

- ويؤخّر سحوره إلى قبيل الفجر، تقديساً لحديث نبيِّه ﷺ : «**ما يزال الناس بخير ما أخّروا السحور**».

• **ماذا لو امتد مشهد إجلال السُّنَّة في مشهد الإفطار إلى سلوك يجري في كل شيء من حياتنا!..**

- كيف لو أن الإنسان صار يتحرك في بيته، وفي سوقه، وعمله، وسائر حياته على هدي وسنّة نبيِّه ﷺ !..

- ماذا لو نقلنا مشهد انتظار الرطب لحظة الإفطار إلى بيوتنا؛ فتحوّلت السُّنَّة إلى منهج في التعامل مع أزواجنا، وأولادنا، إجلالاً لقول رسولنا ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله**».

- وانتقلت تلك السُّنَّة معنا إلى التعامل مع جيراننا، وصار كل واحد منا يتعامل مع جاره وفق منهج نبيِّه ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**».

- وكان هذا الوحي هو الحادي لنا إلى تمثّل الأخلاق كمنهج حياة في سائر شؤوننا، امتثالاً لقوله ﷺ : «**إن**

أحبَّكم إليّ وأقربكم مني مجلســـاً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً».

- **إن حاجتنا لسُـــنَّة نبينا ﷺ فوق كل حاجة**، ولو لم يكن من ذلك إلَّا امتثال قول اللّه تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وانتظار تلك النهايات الكبرى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] لتحقّق لنا منها كل شيء.

- **إن النفوس تحتاج إلى نوعٍ من التدريب والتأهيل، حتى تتأهَّل لحمل تبعات الشيء الجديد في واقعها، وهذا الشهر كافٍ في تعميق هذا المفهوم**، إنْ وعت هذا المعنى، وفقهت المـــراد منه، وأدركـــت حظوظها الكبـــرى منه في مستقبلها.

من الغبن أن نقضي شهراً كاملاً في الالتزام بالوحي، ونسير خلال أيامه ولياليه على وفق السُّنَّة، ولا نكاد نفرط في شـــيء منها، ثم ما تلبث أن تتلاشـــى مـــن واقعنا حتى لا نكاد نعرف منها شيئاً.





درس الوحدة

الحمد للّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

- **لا تحتاج في رمضان لمفاهيم ومعارف جديدة تذكّرك بأهمية وحدة هذه الأمة، بل يكفي هذه المشاهد التي نراها في أوقات الإفطار والسحور والتراويح، كأحد الشواهد على هذا المقصد الكبير الذي يريده الشارع من هذه العبادة العظيمة.**

أراد اللّه تعالى بمثل هذه الصور أن يبني في نفوسنا قيمة الاجتماع، ويؤلّف روح الجماعية فيما بيننا، ويخلق من هذا الشتات جموعاً، تشعر بعمق الصلة وروح الانتماء فيما بينها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ومن تأمّل حرص الشارع على صلاة الجماعة في بيوت الله تعالى، وصوم رمضان، وحج بيت الله تعالى، عَلِمَ ما للاجتماع في الإسلام من معنى.

- **إن الأمة اليوم تعاني تخلّفاً في جملة من مشاريعها النهضوية، وقاعدة هذا التخلّف هو النزاع والشقاق الذي بلغ مداه، وتوسّع بشكل ملحوظ، على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات.**

ولعل سؤالاً لأقرب محكمة ستعرف من خلالها أن أكثر معاملاتها ما يتعلّق بالنزاعات الأسرية (أنموذجاً)، فإذا ما توسّعت قليلاً، أدركت أن خلافات يتّقد فتيلها بسبب نعرات قبلية على أراضٍ، أو عادات، أو وقائع وأحداث كانت يوماً ما! فإذا ما وسّعت الدائرة قليلاً، وجدت خلافاً بين أصحاب الحق الواحد، وأكثره على الفاضل والمفضول.

جاء رمضان اليوم يعلّمنا أن درس الوحدة واجتماع الكلمة من أعظم مقاصده، وهذه الجموع التي تلتقي على سفرة واحدة عند الإفطار والسحور، وتتعبّد الله تعالى على مدار شهر كامل، وتتوجّه إلى قبلة واحدة في التراويح والقيام في صف واحد، لا تختلف وجهته، حقيقةٌ بأن تعي

هذا الدرس، وتفقه مضامينه، وتعي آثاره، وتطبّق مفاهيمه في واقعها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

- **إن كلَّ فردٍ مسؤولٌ عن توسيع معنى الاجتماع في نفسه أولاً، وبيته وأسرته ثانياً، وعمله ومساحة تأثيره ثالثاً، ورابعاً، وعاشراً**، ولن يتحقق للأمة شيء من هذا المعنى حتى يقوم كل فرد منا بدوره، ويتأكد من ملءِ مساحته.

أول خطوة في مشروع وحدة الأمة لكل واحد منا: أن يصلح الخلاف الدائر بينه وبين زوجه، وبينه وبين أهل البيت الواحد، ويعيد لحمة الأخوّة مع جيرانه وأصدقائه، ويعلم في الوقت ذاته أن هذه الخطوات الإصلاحية أثمن الخطوات، وأهمها في تاريخه على الإطلاق، وقبل ذلك وبعده أن يكون واعياً بأثر هذا الدور وأهميته، ويجري هذا المعنى في قلبه قبل أن يبدأ في مساحته ودائرة تأثيره.

- **تصالحوا يا قوم، وليمد كل واحد منكم يده للآخر، ولا تنتظروا مبادرة الآخرين**، واغنموا حديث نبيكم ﷺ: **«لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجِرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»** تجري لكم وبكم الحياة.





الأوساط الإيجابية

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

- **تُرى ما الذي أعان هـــذه الجموع على الصيام في رمضان رغم طول ســاعاته وأيامــه؟ ما الذي جعلهم يؤدونها في أجواء مشــاعرية، تبلغ بهــم درجة الفرح والســرور رغم كُلفتها؟ هكذا تصنع الأوساط الإيجابية، فتحيل كثيراً من صور التكاليف إلى مثل هـذه المعاني البهيجة في واقع الإنسان.**

حيــن أراد النبي ﷺ أن يــؤدّب المتخلّفيــن عن غزوة تبوك فرض عليهم عزلة شعورية، فكانوا رغم وجودهم في وسط الجماعة، محرومين من معناها الكبير، للدرجة التي كان يفيــض دمــع الواحــد منهــم مــراراً، لفقدانهم روح الجماعة، وحرمانهم من مشاهدها.

- **تعلّمنا الجماعة في رمضان أن المشاريع الجماعية**



تســتوعب طاقات المجتمع، وتكوّن أرضاً خصبة للعمل، وتشــجِّع على التعــاون، وتثير روح التنافــس فيما بين الآخرين، فلولاها ـ بعد توفيق الله تعالى ـ لم يكن بوسعنا أن نصوم شهراً كاملاً، ونصلي القيام، ونعتكف، ونتصدق، ونأتي على ختمات كثيرة من كتاب الله تعالى.

- **إن عصرنا اليوم هو عصر التكتلات، والأمة بحاجة إلى اجتماع أفرادها، وتكاتفها فيما بينها، وصناعة مشاريع تســتوعب طاقاتها الممكنة،** وتعينهم على المشــاركة في البناء في صور مــن الجماعية، تنصهر فيهــا روح (الأنا)، ويتضخم فيها وعي (نحن)، دون تحزّب لرأي، أو فكرة، أو مشروع، وتتعاون في الوقت ذاته مع كل راية غايتها الحق، ورائدها التعاون، وهمها خدمة الإسلام.

- **ومن كمال وعي الفــرد: أن يختار صديقاً صالحاً، وفرداً ناهضــاً،** وأن يصطفي صحبة صالحــة، تعينه على العمــل، وتدفعه للمعاني الكبــار، وأن يقبــل على الأعمال الجماعية، ويحــاول أن يكون عضواً فاعــلاً فيها، ويتجنّب الفردية قدر وسعه، فإنما يأكل الذئب القاصية من الغنم.

إذا أردت أن تنجح في مهمة أو مشروع أو قضية، فاختر صاحباً يعينك على همومه، وإنســاناً فاعلاً في حياته، وكن



عضواً في جماعة، ولبنة في كتلة إصلاح، وحاول قدر وسعك ألَّا تكون وحدك، خاصــةً في بداية الطريــق؛ فإن يد اللّٰه تعالى مع الجماعة.

وقد انتشــرت بحمد اللّٰه تعالــى الأعمــال الجماعية، وتعددت المشاريع التطوعية، وتوسعت دوائر العمل الجماعي إلى أبعد مدى، وبقي دور الواحد منا هو المشاركة الفاعلة في هذه الأعمال، والانضمام تحت لوائها، والاستفادة منها، وتوظيف طاقاتنا فيها ومن خلالها، قدر الوسع والإمكان.





الدعــــاء

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

• حين أفاض الله تعالى في الحديث عن تقرير فرضية الصيام في سورة البقرة، وأبان جملة من أحكامه، انتقل لبيان قربه تعالى من عباده، وإجابته لدعائهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].. **في إشارة لطيفة لأهمية الدعاء في مواسم الخيرات.**

وحين تقرأ القرآن يدهشك لهج الكبار بالدعاء، واستشعارهم لأثره، وإدراكهم لما يتركه في حياتهم ولو بعد حين، ولو أنك استعرضت سورة الأنبياء فقط؛ لاستوقفك كثرة نداء الأنبياء لربهم، وتضرعهم له، وابتهالهم إليه:

- ففي معرض قصة أيوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

- وفي ختام قصة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

- وفي مشاهد قصة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٨٩]..

- وكل هذه النداءات كانت مؤذنة بمشاهد مثيرة في الختام، تتمثّل في قول الله تعالى لكل هؤلاء: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾.. فشُفيَ بها أيوب من مرضه، وخرج بها يونس من أزمته ومحنته، ونال بها زكريا ولداً وصلاحاً في أهله وذريته، كما قال تعالى:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ

زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٩٠].

• لقد حدد الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه مشكلتنا مع الدعاء فقال: (**إني لا أحمل همَّ الإجابة، وإنما أحمل همَّ الدعاء**).. كثيرون يدركون أثر الدعاء في حياتهم وموقنون بأهميته، ولكنهم في المقابل لا يمنحونه الوقت الكافي، ولا يعطونه مكانته من العناية والاهتمام.

• **إن من الوعي الضروري في حياة كل فرد منا: أن يعلم حاجته للدعاء، وضرورته إليه**، وأن يقبل بكليته عليه، وأن يهتبل كل فرصة حضّ عليها الشارع، أو بيّن أنها من موجبات قبول الدعاء؛ كالدعاء في هذا الشهر ـ شهر رمضان ـ قبيل الإفطار، وفي ساعات السحر منه، والدعاء عصر الجمعة، وفي أوقات السجود، وأن يلحَّ الإنسان على ربه قدر وسعه، وأن يسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ويردد: (يا رب يا رب) ويعلم علم اليقين أنه على قدر اضطراره وحاجته إلى ربه، تُدنى له الثمار، وإذا رآك الله تعالى صادقاً مقبلاً حريصاً؛ هداك للطريق، وأرشدك للصواب، وفتح لك ما تشاء من الخيرات.





القرآن

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

- **القرآن الكريم كتاب الله تعالى، أعظم الكتب وأنفعها، وأجلّها على الإطلاق، ومن أدرك هذا المعنى وعني به وأعطاه بعض وقته، جرت في قلبه الحياة، ورأى من البركة في وقته وعمره ما يغنيه عن كثير من الهوامش.**

لقد نزل هذا القرآن في هذا الشهر المبارك شهر رمضان، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأشار الله تعالى إلى ما فيه من الخير والهداية، التي تلحق العالمين من هذا النزول، فقال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فتأمّل قول ربك تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؛ ليس نزولاً مجرّداً، ولا حرفاً مقروءاً، أو آيات تتلى فحسب، وإنما هذا المعنى الكبير (هدًى للناس)!..

• **تخيّل لو أنك مددت يدك لهذا القرآن في كل مرة، وأنت تشعر أنك تمدّ يدك للحياة!** تقرأ وردك اليومي منه، وأنت تشعر أنك تستقي منه لروحك وقلبك وجسدك ومشاعرك وكل شيء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]..

موعظة تهز قلبك ووجدانك، وتنتشل روحك من غيِّها، وتأخذ بمشاعرك من غفلتها، وشفاء لأمراضك الروحية والجسدية والفكرية، وهدًى لطريقك الطويل، ورحمة تغشاك في كل لحظة من لحظات عمرك الطويل.

في الصحيحين: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (**كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن**)..

كان جبريل عليه السلام يلتقي برسول الله ﷺ كل ليلة يدارسه القرآن.. وتأمل لفظ (**يدارسه**)؛ ليست قراءة مجردة، وإنما مدارسة لمعاني هذا القرآن، ومعرفة ما فيه من أسرار ومعانٍ وحِكَم وغايات.

• **لقد نزل هذا القرآن لهدايتك، لتأهيلك للحياة، لبناء فكرك ومفاهيمك، ولم ينزل للبركة فحسب!**.. وإذا أردت أن تعرف الفارق الكبير الذي يحدثه القرآن في واقعنا، فتخيّل إنساناً يقرأ قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٧٨].. فيتخلّص من كل معاملة ربا دارت في حياته عن جهل، ويتورّع في قادم أيامه عن كل باب من أبواب الربا..

وآخر يمر بهذه الآية مراراً، ثم لا تحدث في قلبه واعظاً، ولا ينتهي عن غوائل الربا.

وثالثاً يقرأ قول الله تعالى الذي يتحدث عن صفات المنافقين في سورة التوبة، فيخشى على قلبه من النفاق، ويسأل الله تعالى أن يجنّبه صوره وآثاره...

ورابعاً يقرأ هذه الصفات لا يدري ما يعنيه منها.

• **إن من نعم الله تعالى هذه الأوقات التي تصرفها في كتاب ربك تلاوة**، ومن كمال توفيقك أن تتدبّر ما تقرأ، وتفقه ما تتلو، وتعمل بكل ما يدعوك القرآن إليه من قول أو عمل، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

* * *

١٢

تعظيم النص الشرعي

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

- بعثت أم الفضل بنت الحارث كُريباً من المدينة إلى معاوية بالشام لحاجةٍ لها، فاستهل عليه رمضان وهو في الشام، فرأى الهلال ليلة الجمعة، ثم قدم المدينة في آخر الشهر، فسأله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: متى رأيتم الهلال؟ فقال له: ليلة الجمعة. فقال ابن عباس: لكنا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه. فقال له كريب: أولا نكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.

ما أحوجنا إلى إجلال الوحي، والإذعان للنص، والعبودية لله تعالى ولرسوله ﷺ: (هكذا أمرنا رسول الله ﷺ).

- ماذا لو أن المؤمن قرأ قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝ وَلَا

﴿ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠ ـ ٢١]

بقلبه ومشاعره! وتخيّل وهو يقرأ أنَّ هذا العتاب الرباني له قبل أن يكون لغيره! **كم هي الأوامر والنواهي التي سمعها الإنسان من كلام ربه وكلام رسوله ﷺ ولم يحتفِ بها، أو يصنع لها واقعاً في حياته في كل مرة!..**

الأسوأ من هذا أن يسمع النص الشرعي؛ قال الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ، ثم يقول: في المسألة قولان، وثلاثة، وأفتى فلان، والمسألة محمولة على الكراهة.. وقصده من كل ذلك التخلّف عن أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.

• **إن المعركة اليوم معركة وعي، وأول مستهدف في هذه المعركة هو النص الشرعي**، وإذا استطاع العدو أن يرقق النص في حياتنا، فقد انتصر في معركة الوعي التي يديرها معنا بكل نجاح.

إذا أردت أن تعرف هذه المعركة، فتأمل هذه الأمثلة الثلاثة التي أديرت في مجالسنا وطال فيها النقاش، ولم تُحرم حتى من الخصام والنزاع فيما بيننا: **الأول**: كان لدى الناس شبه إجماع على تعظيم قول النبي ﷺ في صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها، والعمل به: «**إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي، فلا يأخذ من شعره، ولا من**



أظافره شيئاً» ثم أديرت حوله معركة الوعي، فباتَ لا قيمة له. **والثاني**: كان لدى الناس اعتقاد بقيمة العمرة في رمضان لحديث: «**اعتمري في رمضان، فإن عمرة في رمضان كحجَّة معي**».. ثم جاء من يقول لهم: الحديث خاص بالمرأة، وعمرة النبي ﷺ كلها في ذي القعدة، فترك بعضهم العمرة في رمضان. **والثالث**: كان الناس يصومون تسع ذي الحجة، ثم جاءهم من يقول لهم: لم يثبت أن رسول الله ﷺ صامها، فتركوا صيامها، مع أن حديث ابن عباس في البخاري: «**ما من أيام العمل الصالح أحبّ إلى الله فيهن من هذه الأيام**» ولا يختلف اثنان أن الصيام من العمل الصالح.

ولو استمر بنا الحال على الاستسلام لكل ناعق وصوت ونكرة لن يبقى لنا من ديننا شيء، وسنعود في النهاية بلا منهج في الحياة.

- **المَخْرَج أن نعظّم ما جاء في كتاب الله تعالى، وما صح عن رسول الله ﷺ، وإذا أشكل علينا شيء من ذلك سألنا أهل العلم الموثوقين** في ذلك، وألا نلتفت للغرباء والنكرات، وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].





الجُود

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

- **كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وما سئل ﷺ شيئاً فقال: لا، وعلّمنا ﷺ أن العطاء فن، وأن الحياة تقف مُجلّة للذين يحسنون فنون هذا المعنى الكبير في واقعهم.**

وفي رمضان تتوسّع دائرة هذا المعنى في حياته ﷺ (**وكان أجود ما يكون في رمضان**)، وقد دعا ﷺ لهذا العطاء، وهيّج لبعض صوره في رمضان، فقال ﷺ : «**من فطّر صائماً كان له مثل أجره**».

ونهى ﷺ عن الأخذ ومدِّ يد السؤال، وقبّح صوره للدرجة التي كان سوط الراكب من صحابته الكرام يسقط وهو على ظهر بعيره، فينزل ليأخذه، تعفّفاً عن السؤال، وترفّعاً عن دركاته.

• **للجود صور كثيرة يمكن للصائـــم أن يلزمها ويكاثر فيها،** ويوسّع في صورها حتى يأتي منها على أمانيه:

- **أول هذه الصور: جود العلم،** فلا يدخر صاحب العلم من عِلْمه لمن حوله شـيئاً، بدءاً بإمام المسجد وقراءته على مأموميه ما يبصّرهم في دينهم، ويعينهم على فقه شريعتهم، وكل صاحب علم مسـؤول عن زكاة علمه، وبيان الواجب عليه فيما آتاه الله تعالى.

- ثم يجود كل إنسان بما أعطاه الله تعالى، ووسَّع له فيه؛ كل بحسب طاقته وقدرته، **فقد يكون جود أحدهم بجاهه في الصلح بين المتخاصمين،** والشـفاعة للضعفاء والمساكين والمحتاجين.

- **وقد يكون جود آخر من خلال أخلاقه،** وكرمه، وسعة خاطره، وابتسامته.

- **وجود رابع بمالـــه** في إغاثـة الفقـراء، والأرامل، والأيتام، والمساكين، والمعوزين، والمحتاجين.

- **وجود خامس بقلمه** من خلال طرح أفكار ومفاهيم دينه، وتوسـيعها بين عموم المسـلمين، وتصحيح الأفكار الهدامة والمفاهيم السقيمة، التي تحول بين الناس وبين فقه دينهم.

- **وجود سادس بقيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،** وإقامة النصيحة بين المسلمين.

- **وجود سـابع بوقته** من خلال العمل في جهة خيرية وبذل جزء من وقته فيهـا، والقيام ببعض فروض الكفايات في واقعه.

- **وجود ثامن بالتطوع** في مشـاريع تفطير الصائمين، والقيام على كسوة العيد للمحتاجين حتى يأخذوا حظهم من العيد مع إخوانهم المسلمين.

- **إن من فقه الصائم: ألّا يدّخر جهداً في سبيل توسيع دوائر الخير ومساحات البر والمعروف ما استطاع إلى ذلك سبيلاً**، وأن يكون هذا الشهر هو التجربة العملية الميدانية لتفعيل دور الإنسـان، والقيـام بمهامه في الأوسـاط التي يعيش فيها، وأن يكون له في ذلك أسـوة بنبيِّه ﷺ: **(وكان أجود ما يكون في رمضان)**.







يُسر الشريعة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

• **حين تقرأ أحاديث الصيام تستوقفك تلك النصوص التي تتحدَّث عن يُسر الشريعة ورحمتها بالإنسان:**

- قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

- وقال ﷺ: «**ما تزال أمتي بخير ما عجّلوا الفطر**».

- وقال ﷺ: «**ما تزال أمتي بخير ما أخّروا السحور**».

- وقال ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على المتسحّرين**».

- وقال ﷺ: «**من أكل أو شرب ناسياً فلا شيء عليه؛ فإنما أطعمه الله تعالى وسقاه**».

- كما أن الحامل والمرضع تسقط عنهما هذه الفريضة، إشفاقاً بولدهما، ورحمة بهما، وبصغيرهما.



• **وقاعدة الشـــريعة الكبرى: أن الأصل في الأشـــياء الحِل، وأن رحمة الله تعالى ســبقت غضبه، وأن كل ذنب غير الشـــرك فعاقبة صاحبه إلى الجنـــان، وإن لقي في طريق رحلته إليها شيئاً من العقوبة والحرمان.**

هذا هو دين الله تعالى، يأخذ بالإنســان إلى سعادته، ولا يكلِّفه ولا يحرجه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وإنما كانت السُّــنَّة تعجيل الفطور وتأخير السحور من هذا الباب، كي لا يجوع الإنســان ويتعرض للتعب والحرج؛ فحرصت الشريعة أن تعينه بهذه التعاليم حتى يؤدي عبادته بيسر وسهولة، للدرجة التي لمَّا بلغ النبيَّ ﷺ أن رجلاً ظلل عليه من شــدة العطــش ولم يفطــر؛ قــال ﷺ : «**أولئك العصاة، أولئك العصاة، أولئك العصاة**».

وقال ﷺ : «**إن الله يحب أن تُؤتى رخصه كما يحب أن تُؤتى عزائمه**».

• **وفي هذه المعالم رد علــى كل المتعالمين الذين يردّدون أن هذه الشريعة ضيّقة،** لا تلبي حاجات الناس، ولا تراعي مشاعرهم، ولا تعتني بهم، وكلها (حرام، ولا يجوز)، وأن فيها تضييقاً وحرجاً على عموم المسلمين.



ولو لم يكن من ذلك إلَّا تعامل هذه الشريعة مع من جامع في رمضان لكان كافياً؛ فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: «**وما أهلكك؟**» قال: وقعت على امرأتي في رمضان. فقال له ﷺ: «**هل تجد تعتق رقبة؟**» قال: لا. قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**» فقال: لا. فقال: «**فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً؟**» قال: لا. ثم جلس فأُتي النبي ﷺ بعَرَق فيه تمر فقال: «**تصدق بهذا**» فقال: أعلى أفقر منا؟! فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «**اذهب، فأطعمه أهلك**».

- **ومن قواعد الشريعة: أن المسلم مؤتمن على عبادته، وعلينا في المقابل أن نتخلّق بأخلاق حاملها ﷺ**، وأن يكون الواحد منا كرسوله ﷺ؛ فما خُيّر ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.

وإذا سبرت حاله ﷺ في بيته وبيعه وشرائه، وتعامله، حتى مع عدوه ﷺ؛ غمرتك مشاعر اليسر إلى أبعد مدى.

فتمثَّل هذا المعنى في حياتك، واجعله أصلاً في التعامل في سائر أحوالك؛ تعشْ سعيداً بهيجاً في الدارين.

* * *

١٥

منهج العقوبة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

- تحكي الشريعة في رمضان قصة ذلك الرجل الذي وقع على أهله في رمضان، فتعاملت معه الشريعة في ثوب من الصرامة، وأوجبت عليه عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً؛ في إشارة إلى تكاملها، وجمعها بين اليسر والرحمة بالمكلَّف، والضبط لتصرفات المتساهلين في حياض الحرمات.

إن هذه الشريعة تشرّع منهجاً يقوم على الرحمة والعطف واليسر بالمكلَّف إلى أقصى درجة، ثم هي في المقابل تفرض حصاراً على المتمرّدين، وتذيقهم أثر تخلُّفهم حتى يعودوا إلى الطريق، ولا يحدثوا خللاً في اتساق هذه الشريعة في قادم الأيام.



• **إن هذه الحدود التي يقوم عليها نظام الشريعة هي النظام الذي يصنع للناس أمناً**، ويجعلهم يعيشون فيما بينهم متآخين متراحمين: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

حين يُقتل القاتل، وتُقطع يد السارق، ويُجلد الزاني أو يُرجم، ويُضرب شارب الخمر؛ فلا تخسر الأمة فرداً أو عضواً، وإنما تحيا من جديد؛ فيدرك الناس حقوق بعضهم، ويسود بينهم الاحترام، وتشاع روح الأخوة، وتجري بينهم مباهج الحياة، وكل طرف يدرك ما له من واجبات، وما عليه من حقوق.

• **ثمة شغب يُرفع صوته اليوم في أطراف الدنيا على أحكام هذه الشريعة باسم حقوق الإنسان**، يريدون به أن يحولوا بين الناس وشريعة الله تعالى، ويخلقوا فوضى لا حدود لها في مستقبل الأيام.

ومن وعيك وكمال دينك: أن تُجل هذه الشريعة، وألا ترخي سمعك لأحاديث البطّالين، وألا تنساق وراء هذه الدعوات مهما كانت، وأن تعتقد أن الله تعالى حكيم عليم: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

• إنك تقرأ في **يسر الشريعة**، فتجد رحمتها بالإنسان إلى أبعد مدى، ولذلك تعذره بالجهل والنسيان والخطأ؛ فلو أنه أكل، أو شرب، أو حتى جامع زوجه، وهو متلبّس بهذه الأعذار الثلاثة فلا حرج عليه، ولكن أن يأتي مفسدات الصيام المحذورة في الشريعة وهو عالم ذاكر، فهو ملوم معاقب على كل تصرفاته.

• **كل هذا يعطيك صورة من جمال هذه الشريعة، وتكاملها، ورعايتها للإنسان**، وحرصها على تربيته وتأهيله للحياة، وتدريبه على تحمّل أعبائها وتكاليفها في الوقت ذاته.

ومن وعيك وكمال فقهك: **أن تقرأ نصوص هذه الشريعة كاملة، وألّا تقبل تلك القراءة المجتزأة لبعض نصوصها دون بعض.**





١٦

درس البراءة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

- قال ﷺ: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر**».

هذا النص النبوي محاولة لبعث روح البراءة من المشركين من جديد.. يذكّر هذا الحديث الصائمين، وهم في غمرة الفرح بشهرهم أن الشريعة وحدة واحدة، يغذي بعضها بعضاً، وهي لا تقدم مفاهيم مفصولة عن بعضها، وإنما تطرح مشروعاً متكاملاً لبناء الإنسان من كل جوانبه.

إن الكافر عدو للمؤمن، هذه ليست معرفة يراد حفظها، وإنما عقيدة يراد لها العيش في قلوب المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].



- **فرق كبير بين المعاملة التي نعامل بها أعداء الله تعالى، التي تمثل أخلاق الإسلام في التعامل مع أي مخلوق في الدنيا**، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

(تَبَرُّوهم) بكل أنواع البر، إلا ما فيه نص ثابت، كالسلام، وأعياد دينهم، وما عداه فقد فسح الإسلام ـ في صُوَر ـ التعامل معهم لأرقى المثل والمعاني.

وفي حديث نبيك ﷺ : «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة**»، وبيَّن العقيدة التي يجب أن تعمر قلوبنا: أنّ هؤلاء أعداء، وستظل معاملتهم مع كل مسلم مرهونة بهذا المعتقد، ولن تأتي اللحظة التي تلقى منهم وِدّاً، إلَّا فيما يخدم قضيتهم وعقيدتهم ومنهجهم، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

- **إن هذا المعنى يملي علينا أن ندرك أن رحى المعركة مع العدو لن يستقر إلى قيام الساعة**، وأن نكون في المقابل متيقظين لكل وارد من قبلهم مستعلين عليه، متى ما وجدنا فيه معارضة لقيمنا ومبادئنا، ويملي علينا هذا المعنى كذلك أن نعتز بديننا وقيمنا ووحينا، وأن نعلم أن



المصباح الذي أراد الله تعالى بــه تبديد ظلام العالم هو بأيدينا كمســلمين، وليس بيد أحد من العالمين في الدنيا كلها.

حين تقوم إلى سحورك في آخر ساعة من الليل، عليك أن تقوم إليها وأنت مشحونٌ بهذه العقيدة: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر**».

وحتى لو كنت لا حاجة لك إلى هذا السحور، ولا رغبة لك فيه، عليك أن تقوم إليه وفي قلبــك أنك تحيي عقيدةً ومنهجاً ورسالةً، وتســتثير كوامن هذه النفس تجاه العدو، وتجهد في المقابل بأن تعي المعركة الدائرة بينك وبينهم، وألَّا تكون ساذجاً تسمع لكل ناعق، وتجيب كل صوت لا دليل معه من الوحي، ولا خبر له من شريعة الله تعالى.

- **سيظل العدو عدوّاً، والحق الذي معنا أثمن من كل شيء، ويجب أن يجري كل شــيء على وفق هذا الوحي، لا يتجاوزه في شيء.**







معركة بدر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

- **يوم السابع عشر من رمضان ذكرى تتجدد معنا في كل عام، يذكرنا هذا التاريخ بزمن الانتصارات، وامتداد الدين، ورحلة العزة في حياة المسلمين.**

كانت **بدر** أول غزوة في تاريخ الإسلام، وأول انتصار يدكُّ حصون الباطل في مكة، بعد زمان من التعذيب لأصحاب الحق والمنهج.

حاول الباطل في تلك الفترة أن يفرض الاستعمار على كل شيء، وكانت القوة هي طريقته الأولى والأخيرة في فرض استعماره وبناء مستعمراته، وواجه المسلمون القوة بالقوة ذاتها، وكانت راية الجهاد هي كل شيء.

وشنّ المسلمون الحرب على العدو، مستلهمين القوة الكبرى من الله تعالى، ومن التمسك بمنهج



نبيهم ﷺ ورسالته، للدرجة التي شاركت الملائكة في المعركة، وخطمت أنـوف الأعداء، وألقت بهم صرعى.. وردَّ اللّٰه تعالى الباطل وأهله صاغرين، وكانت الفئة التي صحبت رسـول اللّٰه ﷺ في تلك الحقبة تدرك عدوَّها، وتعـرف كيف تواجهـه، وترفض كل صور الاستسـلام، وتواجهه بالقوة ذاتها التي يواجهها بها، وكان لها النصر المبين في كثير من مواقع المواجهة.

- **ولم يعد ذلك الاستعمار اليوم قائماً على السلاح كأداة أولى، وإنما تحوّل إلى ثقافة وفكر.**

- فليس بالضـرورة اليـوم أن يسـتولي العدو على أرضك، أو يعتدي على جزء من حقك..

- الاستعمار الحقيقي في صورته الجديدة أن تُستلب هُويتك، وتضيع قيمُك، وتذبل اسـتقامتُك، وتنتهي قصةُ تديُّنك، وتتحـوّل مفاهيم الوحي إلى تهـم تُعَيَّر بها في عرض الطريق!.

- الاستعمار أن تفخر بلغة عدوك على حساب لغتك، وبتراثـه على حسـاب تراثـك، وبقدواته على حسـاب قدواتك، ثم ينتصـر في النهاية وهو علـى أرضه، ولم يخرج منها قيد شبر.

• لقـد تغيرت أسـماء بناتنا ـ أو كادت ـ من أسـماء عربية إلى أجنبية، وعلت الصيحات المطالبة بتعليم اللغة الإنجليزية كلغة أم، وتحوّلت ألبسة أبنائنا إلى عبث باسم التقليد الأعمى، فـي حين بدأت تتلاشـى القيم الأصيلة والمتينة في حياة الأجيال، وهذا كله مؤذن بانتصار العدو وظهور قيمه، ما لم تتدارك الأمة تلك المعاني، وتعود إلى دينها ووحيها وهي ترى فيهـا كل معاني العزة، وتعلم أن التقليد فرع عن الهزيمة، والانبهار بالآخر الطريق الأوسع إلى اسـتعباده، وفـي الوحـي: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن لوازم هـذا النصر: العـزة بالمنهج، والعمل للدين، والصبر على تكاليف الطريق.







المحاسبة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

• رَقِيَ النبي ﷺ المنبر، ثم قال ﷺ : «**آمين، آمين، آمين**» وحين سُئل ﷺ عن ذلك، قال: «**جاءني جبريل الساعة ثم قال: يا محمد، من أدرك رمضان فلم يغفر له رغم أنفه...**».

هذا النص يبين لك عظم الفرصة التي ألقاها الله تعالى بين يديك بشهود هذا الشهر، وأنه بحاجة ماسة جدّاً إلى استثمار، وهو في الوقت ذاته دعوة إلى محاسبة نفوسنا، وعرض ما لها وما عليها قبل الفوات: «**رغم أنفه... من أدرك رمضان فلم يغفر له**» وكم مرة حاول الإنسان أن يخرج من تبعة هذا المعنى، ويتخلّص من إلحاحه، وفي القرآن حقيقة ضخمة، تواجهنا في كل مرة، وتدعونا للاعتراف: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٤ ـ ١٥].

• **كم مرة حــاول الواحد منا أن يخلق عــذراً لتخلُّفه،** ومســاحةً لتأخُّره، ومجالاً يخرج فيه من ضيق المساءلة إلى فضاء الأعذار، وحين ينجــح في خلق تلــك الحجج الكافية لإعذاره تعرض له هذه الآية وجهاً لوجه: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾.

تقول له: يكفي هذا اللجاج والخصومة التي تود أن تخرج فيها من ساحات الناس، مع أنك أعرف بأخطائك ومشكلاتك، التي تواجهك في كل حين.

كم نحن بحاجة في هذا الشــهر إلى إعــادة النظر في واقعنا، وإعــادة ترتيب حياتنا، وتشــكيل أهدافنــا، وتنظيم أمورنا من جديدا.

• **ثمة كشوف كثيرة تحتاج إلى عرض ونقد،** يأتي على رأســها: علاقتنا بالله تعالى، وعلاقتنا ببيوتنا، وأســرنا، وأرحامنــا، وجيراننا، وكشــوف أهدافنا ومشــاريعنا، كي لا نأتي في النهاية نادمين على التفريط.

إن من الغبن أن يدخل رمضـــان، ثم يخرج منا ولم يصحح بعضنا مفاهيمه، ولم يجــدد بعضنا علاقته، ولم يناقش الثالث منا أخطاءه وتخلُّفاته عن مشــاهد الحياة، وقد لاحت الفرصة من جديــد، تدعو كل واحد منا لمعرفة

واقعه ورصد أحداثـه، والبداية في اسـتثمار فرصته التي عادت بأوسع ما يكون.

كم هم الذين عـاد عليهم رمضان وهـم مرضى على الأسِـرَّة البيضاء! وكم هـم الذين جاء رمضـان وهم في غياهب السـجون! بل كـم هم الذيـن عاد رمضـان على ذكرياتهم وصورهم وأحداثهـم، رحلوا من الحياة ولم يبق منهم سوى الذكرى!..

لنحمد الله تعالى على العافية، ولنشكره تعالى على النعمـة، ولنراجع كل شـيء يحتاج منا إلـى مراجعة؛ فالفرص تعرض ولا تعود، وكم من حي سـيموت، وصحيح سيمرض، وصغير سـيكبر! والله المسؤول أن يصلح قلوبنا، ويردّنا إليه ردّاً جميلاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



١٩

صناعة التغيير

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

• **كم واحد منا حدّث نفسه: أنه لا يستطيع أن يغير واقعه، أو يستبدل عاداته السلبية، أو يصنع واقعاً جديداً في حياته! كم مرة دارت شكوى مُرّة فيما بيننا: حاولت، جرّبت، ما استطعت.. وحين جاء رمضان قلب هذه التصوُّرات، وغيّر هذه القناعات، وأحدث نقلة نوعية في كل شيء!.**

كم هي المرات التي حاولنا أن نصوم فيها بعض الأيام تطوّعاً وعجزنا عن خوض هذه التجربة، ويأتي رمضان ويصوم الواحد منا خمس عشرة ساعة لا يبالي بطول اليوم، ولا يكترث بعدد، وعاش الواحد منا مستعلياً على كل الشهوات التي يراها بعينه وترمقها مشاعره، بل استطاع أن يغيّر نظام اليوم كله، ويضيف جديداً لحياته وعاداته، ويتأقلم مع الواقع الجديد في زمن قياسي.



حتى الــذي كان مبتلى بعادة التدخيــن مثلاً، واعتذر مراراً عن الفكاك عنها ساعة واحدة في يومه، استطاع أن يقف في وجه تلك الشــهوة زمناً طويلاً، دون أن يمد يده إليها أو يحدّث نفسه بها، **كل هذا يعطينا يقيناً أننا نملك من القدرات والإمكانــات ما نســتطيع أن نصنع بها ما نشاء إذا أردنا، وأن حياتنا كلها وقف على الإرادة.**

لنتخلَّ عن تلــك المعاني التي تحاصرنــا في كل مرة (لا أستطيع، لا أقدر، صعب، غير ممكن، جربت، حاولت...) ولنقنع أنفسنا أن في إمكاننا أن نصنع كل ما نريد.

• إن من القواعد المقررة في كتاب الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، **وهي دعوة لأن نبدأ خطوة التصحيح ونحن واثقون بأنه سيتحقق لنا كل شيء.**

كثير من مشــكلاتنا وأخطائنــا مع أنفســنا وأزواجنا وأســرنا، وفي علاقتنا بالله تعالى ومع الآخرين، لا تحتاج منا سوى أن نشعر أولاً أن لدينا مشكلة فيها، وأنها بحاجة إلى تصحيح، وأن إمكانية تصحيحها ســهلة وفي الإمكان، وليس ســوى أن نبدأ ونتوكل على الله تعالــى، ونخطو فيها خطوات متوالية لنصل من خلالها إلى أحلامنا التي نريد، وأهدافنا التي نؤمّلها مع الأيام.

التغيير لا يأتي دفعة واحدة، وإنما يأتي شـيئاً فشيئاً، ولا يتكوّن في لحظة، وإنما يأتي من خـلال الأيام تباعاً.. والعادات السـلبية التي تكونت أخذت زمناً طويلاً، فتحتاج كذلك لتغييرها إلى الزمن ذاته حتى تزول.

- **إذا آمنا بضروة التغيير، وأنه ممكن وقريب، وبدأنا بخطوات يسـيرة، وصبرنا علـى أيامه القادمـة؛ بلغنا ما نريد، وتحقق لنا كل شيء بإذن الله تعالى.**





٢٠

والصُّلح خير

الحمد للّٰه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

- في البخاري: من حديث عبادة بن الصامت، قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى (تخاصم) رجلان من المسلمين، فقال: «**خرجتُ لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت**»..

تأمل كم من خير فوّته الخلاف والنزاع والشقاق على هذه الأمة!.

وتخيّل في المقابل أن مسلماً صام رمضان وقام ليله وصنع كل شيء، ولكن اللّٰه تعالى لم يقبل عمله ولم ينظر إليه؛ لأنه في خصام ونزاع مع رحِمِه وجاره وصديقه وزميله، قال ﷺ : «**تفتح أبواب الجنة كل اثنين وخميس، فيغفر اللّٰه ذلك اليوم لكل عبدٍ لا يشرك به شيئاً، إلّا من كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا**».

• **وفي كتاب الله تعالى وعيدٌ عظيمٌ للقاطعين لأرحامهم**، والمتهاونين في هذا الواجب الشرعي الكبير: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

وقد قال ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**».

• **يعلّمنا رمضان أن ثمن الوحدة واجتماع الكلمة أثمن من كل شيء**، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومن تأمل صيام هذه الأمة كلها في شهر واحد، ورصد مشاهد الإفطار والسحور وصلاة التراويح والقيام، علم يقيناً أن هذه المشاهد مفضية بكل عاقل إلى معرفة مقصد الشارع من الاجتماع، ومحاولة نبذ الفرقة بكل وسيلة ممكنة، وتكريس مفاهيم الوحدة والاجتماع بكل سبيل.

• **لقد حُرمت الأمة فرصة من أثمن فرصها حين أراد النبي ﷺ أن يخبرها بليلة القدر، بسبب نزاع بين اثنين**، وخلاف في عرض الطريق، وخصام لحظة، فرفعت لأجل ذلك، وإذا كان هذا خلاف عارضاً **فكيف بالخلاف الذي**



تضطرم ناره كل لحظة بين زوجين فتزداد شقته، وما يزال حتى يفرّق الأولاد، ويخلق في قلوبهم الوحشــة، ويثري في مشاعرهم القلق والأسى إلى أبعد مدى.

ومثــل ذلــك: الخلاف بيــن أخويــن، أو جاريــن، أو صديقين، أو الخلاف بين أجيــال الأمة، خلافاً يفضي إلى التناحر والتحزّب والتباغض، وقد قال الله تعالى في بيان خطر النزاع والشقاق: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

- **جاء رمضان ليحيي مشاهد الاجتماع**، ويقارب بين الناس، ويؤلّف بين قلوبهم، ويعيد وهج الحياة إلى قلوبهم من جديد، ومن فقه الإنســان: أن يســتثمر هذه المناسبة الكبرى في إصلاح بيته، وجعله عامراً بجمع الكلمة وتقارب القلــوب وتآلفها، وإصلاح واقعه مع من حوله قدر وســعه، حتى يأتي إلى آماله من أقرب طريق.





التحفيز

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

• **من جمال هذه الشريعة وأناقتها: أنها تعين الإنسان على الترقي، وتدفعه لبناء آماله من خلال حفز همومه ومشاعره على استقبال ما يثري حاضره، ويكتب حظه من بناء مستقبله كما يريد.** حين رأته كالّاً في نهاية الطريق، ومجهداً بعد مضي زمن من رحلته، ويرقب النهايات؛ رصدت له مكافأة متميزة، وأغرته بجائزة كبرى، ووعدته بأن يبلغ تلك الآمال التي أعدتها له، وأن يلقى حظّاً لا عهد له به، وأمراً فوق ما يتصور، ونهايةً كلٌّ يتطلع لها، ويرجوها مع الأيام.

هذه الجائزة الضخمة وهذه النهاية المرتقبة، هي ليلة القدر التي تعدل في العمل ألف شهر فيما سواها، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٢ ـ ٣]. وقد بلغك أن العبادة في هذه الليلة



تعادل ثلاثاً وثمانين سنة وبضعة أشــهر.. **إن هذا الحافز كافٍ لإغراء النفوس المجهدة بالعمل والتحدي والبناء، ومواصلة السير إلى النهايات التي ترقبها.**

- **ومن لطف الله تعالى بالإنسان: أنه لم يجعلها في كل العشــــر،** وإنما في الأوتــار منها بالـــذات، قال ﷺ : «**التمسوها في العشر الأواخر**». وقال ﷺ : «**ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**». ولو أن عابداً تخيل حال تلــك الليلــة التي تتنــزّل فيهــا الملائكة بمــا فيهم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للأرض، وتشــارك جموع المســلمين، وتبتهج بهذا الشرف الكبير، كما قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ [القدر: ٤] وذلك الوصف الشجي لتلك الليلة: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القــدر: ٥] لَجَهِــدَ فيهــا بــكل ما يمكن.. وكم من إنســان أصبح في فجرها وقد بلغ منها أمانيه، وتحقق له منها كل شيء.

- **وهي دعوة لإثراء قضية التحفيز في بيوتنا، ومع أسرنا، وفي برامجنا التربوية والتعليمية،** وعلينا أن ندرك إذا أردنا أن نغري بمهمة، فعلينا أن نشحن نفوس من نخاطبهم حتى تتهيأ للعمل، وتقبل وهي راغبة ومشتاقة، وتدخل بأجواء تنافسية حتى تحقق المراد منها. كم مرة شــكرت زوجــك أو ولدك وعاملك وصديقك!.. وكم مرة رصدت حافزاً لولدك إن أتمّ حفظ كتاب

الله تعالى، أو أدرك تكبيرة الإحرام على مدار أسبوع، أو حافظ على تقبيل يد أمه ورأسها خلال شهر!.. وكم مرة صنعت حافزاً لطالبك، أو من يدير معك شأن مشروعك وقضيّتك!..

• **إن من فقهك وكمال وعيـــك: أن تتهيأ لهذه الليلة بكل ما تملك**، وتستعد لهذا المشـــهد الكبير، وتشعر قبل ذلك أنك على مشـــارف التوفيق، وليس بينك وبين الحياة التي ترجوها والأيام التي ترقبها إلّا ليالٍ معدودة وساعات محدودة، ثم تصبح منها على الحياة، ولا يَفُتْك أن تســأل الله تعالى مُلحّـــاً عونه وتوفيقـــه، وأن يقبـــل بقلبك إقبال الراغبين، وأن يجنبك العوارض، ويقيك الصوارف عنها.. فكم مـــن راغب حيل بينـــه وبينها. وإذا أعانـــك الله تعالى ويسّر لك التعبد في مشاهدها، فحافظ على صلاة التراويح والقيام، وليرى الله تعالى منك خيراً، وأدمن سؤال الوحي: «**اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعـــفُ عني**» فإنه إذا عفا عنك فتح لك كل باب توفيـــق. وكرَّر عليه حاجتك، وألِحَّ في دعائك، وسَلْه بجوامع الدعاء، ولا تتقاصر همتك في شيء، فلا يعظم على الله تعالى شيء.

• **هذه ليلة السلام في الأرض، والعفو عن الأخطاء، وجبر المصابين، وفواتح الخيرات**، ومثلك أوعى أن تضيع منك لأدنى الأعذار. ومنه العون والحول والتوفيق.

٢٢
التربية الذاتية

الحمــد لله ربِّ العالمين، والصلاة والســلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

- **يُعد هذا الشهر فرصة لتدريب أنفسنا، وتأهيلها للحياة، من خلال ممارسة بعض العبادات التي لا تتهيأ للإنسان إلَّا من خلال هذه الفرصة في كل عام..**

فالصوم والتراويح والتهجد وتفطير الصائمين كلها عبادات تشكّل تصورات الإنسان، وترقّي نفسه في مدارج العبادة وكمالات الروح.

فإذا ما دَخَلَتِ العشــرُ الأواخر تهيأ الصائم لبناء روحه بشكل كلي من خلال الخلوة في بيوت الله تعالى، والاعتكاف الكلي، والتخلّص من شعث الحياة وضجيجها، من خلال المرابطة في المسجد والإقبال على ربه تبارك وتعالى.

- **لقد كان نبينا ﷺ مثالاً على هذا المعنى في باكر عمره، حين كان يخلو في غار حراء الليالي ذوات العدد، حتى أكرمه الله تعالى بالرسالة،** وكان ﷺ في رمضان وفي العشر الأخيرة منه بالذات يعتكف، ولم يترك الاعتكاف حتى توفاه الله تعالى.

وفي الصحيحين: من حديث عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ إذا دخلت العشر الأخيرة من رمضان شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله. واعتكف أزواجه ﷺ ورضي الله تعالى عنهن أجمعين، وهو سُنَّةٌ بإجماع العلماء.

قال الزهري رحمه الله تعالى: عجباً للناس كيف تركوا الاعتكاف ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه، وما ترك الاعتكاف منذ قدومه المدينة حتى توفَّاه الله تعالى. اهـ.

وقال عطاء رحمه الله تعالى: مثل المعتكف كرجل له حاجة عند عظيم، فجلس على بابه وهو يقول: لا أبرح حتى يقضي حاجتي.. وكذلك المعتكف يجلس في بيت الله تعالى، ويقول: لا أبرح حتى يُغفر لي. اهـ.

- **ومن أعظم مقاصد الاعتكاف: الخلوة بالله تعالى، وإقبال القلب عليه، وترك فضول الخلطة وكل ما يشغل عن الله تعالى.**

ومن فقه المعتكف:

- أن يقبل على ربه تعالى، ويخلو به، وينشغل بذكره.

- وأن يجعل رأس ماله في ذلك الاعتكاف كتاب الله تعالى قراءةً وتدبّراً وتأملاً وفقهاً؛ فإنه بالغ من ذلك ما أراد!..

- وأن يجعل له ورداً من الصلاة والصدقة والتلاوة والذكر، لا يتخلّف عنه ألبتة.

- وينبغي أن يتهيأ لبناء عادات جديدة، ويتخلّص من العادات السيئة قدر وسعه.

- وعليه أن يتخلّى قدر وسعه عن وسائل التواصل الاجتماعي؛ فإنها إن بقيت معه غالباً ما تفضي به للضياع.

والله المستعان! نسأل الله تعالى أن يشرح صدورنا لهذه القُرَب، وأن يعيننا وإياكم على اغتنام أيامها فيما يعود علينا بالخير في الدارين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.





القـدوة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

• **للقدوة تأثيـر كبير في بناء الأفـكار والمفاهيم والتصورات**، وإذا أراد الإنسان أن يبلغ مراده من شيء، فلينصب له قدوة يأتم بها، ويكون على طريقها، ويتابعها زمناً، حتى تتهيأ نفسه للعمل ويبلغ منه المراد.

وليس في الأرض قدوة صالحة للاقتداء الكلي في كل شيء، إلا رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

• **ومن فقهك وكمال وعيك: أن تسبر حياة نبيك ﷺ في رمضان بالذات، وترى صور عبادته، وتحاول جاهداً الاقتداء بها والسير في فلكها:**



- لقد كان ﷺ يعجّل فطوره.

- وكان يفطر على رطبات، فإن لم يجد فعلى تمرات، وإلا حسا حسوات من ماء.

- وكان يدعو عند الإفطار ويقول: «**ذهب الظمأ، وابتلّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**».

- ويحرص على سحوره ويؤخّره بمقدار قراءة خمسين آية، ويقول: **إنه بركة أعطاكم الله إياها، فلا تَدَعوه**.

- وكان يدركه الفجر في مرات وهو جنب، ثم يغتسل ويصلي.

- وكان يقوم الليل ولا يزيد في ليله على إحدى عشرة ركعة.

- وكان يعتكف في العشر الأواخر من الشهر، ويخلو بربه تعالى، وكان يدخل معتكفه عند غروب الشمس يوم عشرين، ولا يخرج من معتكفه إلا لحاجة أو ضرورة.

- وكان يتحرى ليلة القدر ويقوم ليلها كله.

- وكان يدارس القرآن مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في كل ليلة.

- وكان ﷺ جواداً، وفي حديث ابن عباس: (فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة).

وهذا الجود أثر من لقاء جبريل ومدارسة القرآن، وكان جوده بالمال وبذل العلم والنفس والجاه وقضاء حوائج الناس، وليس بذل المال فحسب.. ومن أعظم الجود: العفو



والصفح عن زلات الآخرين، وإشــاعة خلق التسامح. وكان يجاهد في رمضان، وغزوة بدر وفتح مكة كانت في رمضان، وكثير من السرايا والبعوث كانت في هذا الشهر. وكان ﷺ يرعى نساءه في هذا الشهر ويشعر بواجبه معهن؛ فقد أجاب سؤال عائشة رضي الله عنها عن دعاء ليلة القدر، فقال لها: «**قولي: اللهمَّ إنك عفو تحب العفو، فاعف عني**».

- وإذا دخلت العشر شد مئزره، وأيقظ أهله، وأحيا ليله.

- وأذن ﷺ لنســائه بالاعتكاف، ولما زارته صفية في المســجد وهو في معتكفه، وأرادت العودة، خرج معها ﷺ حتى أوصلها، وكان يقول ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**». وعلّم أمته ﷺ كل ما يتعلّق بهذا الشــهر وهو مبثــوث في الوحــي. وكان يــؤم الناس، ويقــوم على شؤونهم، ويرعى همومهم.

- **ولم يحدث هذا الانفصال فـــي معاني العبادة عند كثيرين، إلا في أوساط الذين لا يعرفون منهجه ﷺ في رمضان أو غيره.**

- **هذه بعض مشاهد القدوة في حياته ﷺ، وهي كما تراها فيهــا من إجلال العمل والبنــاء، وتعميم مفاهيم العبادة بمــا لا يخفــاك.** والله المســؤول أن يعيننا على الاقتداء به ﷺ إنه على كل شيء قدير.



التـوازن

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

- روت عائشة رضي الله عنها: (كان رسـول الله ﷺ يقبّل ويباشر وهو صائم، وكان أملككم لإربه).

هكذا كان ﷺ في بيته يثير مباهج الحياة، ويصنع من اللحظات العارضة أُنْساً وذوقاً وجمالاً، في حين يقوم بإدارة مشروعه وقضيته ورسالته، ويصنع تاريخ البشرية في حقبة من أصعب حقب التاريخ على الإطلاق.

ولم يتعارض معه ﷺ أنس زوجه ومباهج بيته، وصناعة مساحات الربيع في واقعه؛ مع تلك الهموم التي كان ينوء بحملها، وتلك الأثقال التي كانت ترهقه ﷺ، وكأنه يقدّم رسالة لكل فرد في الأمة أن التوازن ليس خياراً مطروحاً في إدارة شؤونك اليومية، وإنما قضية أساسية الخلل فيه خلل في إدارة حياتك كلها.



مؤسف أن بعضنا يعيش لمشروعه الشخصي، أو ينجح بامتياز في عمله، أو يكوّن علاقة رائعة مع أصدقائه وأصحابه، **ويُخْفِق في مقابل ذلك في بيته وأسرته وحياته العائلية**، وهذا مجرد نموذج لخلل يجتاح حياتنا بشكل مخيف.. أو من يدير شأن ماله بامتياز، ولكن على حساب عمله ومشروعه.

- **فإذا ما أمعنت النظر قليلاً رأيت كيف كان ﷺ يعيش الحب**، ويجد له تطبيقات كثيرة في بيته، في صورٍ تستدر عواطف الشوق إلى أبعد مدى، ويجد في لحظات الجوع والعطش فُسحاً كثيرة لمباهج الحب ولواعج الشوق! في حين يضن كثيرون بكلمة حبٍّ أو رسالة شوق، أو هواتف ذكرى لزوجة تجتاحها مشاعر الحب، ولا تجد مجرد محاولة لإشباع تلك اللحظات، وتعود البيوت شبيهة لحد كبير بالسجون، التي لا ترى فيها إلا مشاهد القسوة والعنف والإهمال!..

إن جملة كبيرة من حوادث الشكاوى في المحاكم بين الأزواج وحالات الطلاق والفراق في مثل زماننا، سببها فقدان الحب، وانشغال كل واحد من الزوجين عن الآخر، وكان يمكن لكلمة حب ورسالة شوق وحديث مشاعر: أن يحيل بيوتنا إلى ساحات من الجمال، نجد فيها كل شيء،



فكيف لو كانت هذه المشاعر تطول الأسرة كلها، ويجد فيها الأبنــاء حصانة فكريــة ونفســية وعاطفية، تقيهــم غائلة المتربصيــن بهم والمترصديــن لأعراضهم فــي كثير من الأحيان.

• **إننا بحاجة إلى إشـــاعة مفاهيم التوازن في حياتنا اليومية، وألَّا يكون نجاحنا في مجال أو دور على حساب مجال** ودور آخر، مهما كانــت الأعذار التي نختلقها لتبرير هذه الأخطاء في مرات كثيرة.

وبحاجة أخرى كذلك إلى إشـــاعة مفاهيم الحب في بيوتنا، بشكل أوسع مما هي عليه، حتى نأتي على آمالنا كما نريد.

واللّٰه المستعان، ومنه الحول والطول، إنه على كل شيء قدير.







هموم المرَبِّين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

• حدّثت الرّبيع بنت معوّذ رضي الله عنها فقالت: (كنا نصوم ونصوّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار).

تأمل هذا الحدث الرمضاني، الذي تحكي فيه الربيّع قصة مجتمع وثوران القيم فيه، للدرجة التي صارت هي المحرّك لشؤونهم وشجونهم، وحكاية الثقافة السائدة في تلك الحقبة من التاريخ.

كانت التربية تشغلهم للدرجة التي تسيطر على همومهم وأوقاتهم، ويصرفون لها جزءاً كبيراً من تفكيرهم، ويبذلون لها الوسائل الممكنة لنضجها وتحقيق ثمارها.

إنهم لا يكتفون بتعليم أبنائهم أصول دينهم، وحثهم على اعتناق مبادئه، كلا! وإنما يجهدون في تمثّلهم له



حتى في الشعائر المستحبة غير الواجبة، للدرجة التي يتفرغون لهم، ويمنحونهم الأوقات، ويبقون معهم يمارسون أنشطة تُسلّيهم عن الجوع والألم، حتى يتم الواحد منهم يومه في الصيام.

- **لم يفرض الصوم بعد على هؤلاء الصبية، ولكن ذلك الجيل كان يؤمن بأثر التربية، ودورها الكبير في تنشئة جيل قادر على استيعاب مضامين تلك المفاهيم، والحياة بها في مستقبل الأيام، ويدرك تماماً أن كل جهد مبذول في أيام الصغر أعود ما يكون على أصحابه مع الزمن.**

- تأملت هذا الحديث وقارنته بحال بعض أسر المسلمين التي لا تقيم أبناءها لصلاة الفريضة أصلاً، وقد ترى هؤلاء الأبناء ينامون عن أعظم فرائض الله تعالى، ثم لا يُحرك لهم هذا المشهد ساكناً، فضلاً أن يشعروا بمسؤوليتهم تجاه أول سؤال يُسألونه بين يدي الله تعالى يوم القيامة!..

ولو أمعنت قليلاً في المقارنة، لرأيت فارقاً بين أسر تشغلها التربية، وتسيطر على همومها، كما تحكي الربيّع، وأسر تشتري لأبنائها صنوف التقنية، المدمّرة

لأخلاقها وقيمها ومبادئها، ولم تتجاوز بعد سن السابعة أو الثامنة، ثم لا تكلّف نفسها السؤال عن مآلات هذه الجوانب وآثارها القيمية.

وأسر أخرى **لا تعتني بالحجاب لبناتها**، وتقارب البنت البلوغ وهي لا تعرف الحجاب، أو لا تشعر بأهميته في أوساط الأسرة، وكبرت فشعرت بضيقه، ولم تأنس به، وعاشت في صراع دائم معه، فلا هي التي وصلها مفهومه الشرعي، ولا هي التي تربت على قيمه ومبادئه منذ البدايات.

- **لقد علَّمنا النبيُّ ﷺ أن الأبناء مشاريع ضخمة تحتاج إلى عناية واهتمام**، كما قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**» وفيه: «**أو ولد صالح يدعو له**».

وقَيْدُ الصَّلاحِ يحتاج إلى جهد، وتربية، وتأهيل، ودعاء، وحب، ومشاركة وجدانية وعملية، حتى يبلغ الولد منها أمله، ويكوّن نفسه من خلال معانيها ومشاهدها في مستقبل الأيام.





النفوس الكبيرة

الحمد للّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

• في الصحيحين: من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: نهى رسول اللّه ﷺ عن الوصال، رحمةً لهم، فقالوا: إنك تواصل، قال ﷺ: «**إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقيني**».

وفي حديث ابن عمر: أنه واصل؛ فواصل الناس، فشقّ عليهم، فنهاهم.

وفي حديث أنس: أنه ﷺ واصل وواصل أناس معه، فبلغه ذلك فقال ﷺ: «**لو مُدّ بي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمّقون تعمّقهم**».

إنك حين تقرأ هذا الحدث ترى فيه رسول اللّه ﷺ مغفور الذنب وهو يجهد في عبادة ربه، وبناء نفسه وتأهيل ذاته إلى أقصى درجة ممكنة، إنه يواصل صومه ليومين؛ فأي معنى في العمل تمنحه هذه القدوة في واقعها؟!..



- **إنهـــا رســـالة ضخمة يهبهـــا النبـــي ﷺ للآباء والمربين، ويدعوهم لفن العمل والتطبيق قبل كل شيء.**

- وتـــرى فـــي المقابـــل: **حرص ذلـــك الجيل الذي رباه ﷺ حتى على الشـــاق من العمل،** والمكلف لهم، والمجهـــد لذواتهم، ومع ذلـــك لم يذهبـــوا يبحثون عن الأعذار الممكنة لتفلتهـــم عنه، وانفكاكهـــم من تبعاته، وإنما يبحثون عـــن الأســـوة، ويتطلبون مظاهـــر الاتباع، ويجهدون في اللحاق.

- وينتهي مشـــهد الحـــدث في النهاية برســـالة ضخمة مفادهـــا: **أن الاتباع منضبط، وأن الزيادة في الشـــريعة كالنقص فيها لا فرق!** ولا يعد ولاء الحب والشوق مسوغاً لذلـــك الإفـــراط، بـــل تخاصمه الشـــريعة وتقـــف ضده، وتحاصره في أضيق الزوايا، وتعتبـــره تجاوزاً لحدود هذه الشريعة، وتجنّياً عليها، ويستحق صاحبه العقاب.

- نهاهم ﷺ عن الوصال مع كلفته، ولم ينتهوا ويفرحوا لفكاكهم من العمل، وإنما ذهبوا يســـألون: (إنك تواصل)، وكأنهم يقولـــون: ونحن مثلك نريـــد أن نواصل! ما الفرق بيننا وبينك؟! **هذه هي النفوس الكبيرة التي تفرح بالعمل وتشـــتاق إليه، وترى بأنه هو الحياة،** ويدركون أن الكسل والتواني لا يُعقب إلا الضياع والخسران.

كم هو الفارق بين هذا المشهد الذي يلح عليه صحابة رسول الله ﷺ رغم كلفته، وحال كثير منا، لا تكاد تنضبط له صلاة الجماعة، فضلاً عن غيرها..

كم مرة دار نقاش على أفضلية العمرة في رمضان، وحكم الأخذ من الشعور والأظافر في العشر الأول من ذي الحجة، وحكم صيام الست من شواله، لا لحمل هذه المعاني ومكاثرتها بالاقتداء، وإنما للفكاك منها، والتخلّص من آثارها، والعيش بعيداً عن همومها ومعانيها.

- **كم نحن بحاجة ملحَّة إلى إجلال النص الشرعي، والاحتفاء بمباهج القدوة المرصودة في حياة نبينا ﷺ، والحرص على العمل، مهما كانت كلفته، والأعباء التي ينوء بها الواحد في أحداثها؛ فلعل يوماً يأتي بالحياة!..**





الشعور بالآخرين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

• **روح الجماعــــة من المشـــاهد المبهجة في شـــهر رمضان**، سواء ما تراه في مظاهر التراويح، أو الصيام، في كل يوم وليلة من أيام وليالي الشهر، فإذا ما أوشك رمضان على الوداع، تجلّت مشـــاهد الجماعة والأرواح المؤمنة في مشـــهد عطف الغني على الفقير، وإعانة كل واحد لكل من حوله من المحتاجيـــن، حتى يخرجوا يـــوم العيد في صف واحد وعلى قلب واحد، كما نراه فـــي **صدقة الفطر**، التي جعلتها الشريعة واجباً على كل مسلم قادر عاقل بالغ.

حدّث ابن عمر رضي الله عنهما، فقال: «**فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، صاعاً من تمر، أو صاعاً من شـــعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل الخروج إلى الصلاة**».



وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «**فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين**».

طعمةً للفقراء والمساكين، وإعانةً لهم على الحياة.

- **إن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى الشعور بعضها ببعض، ولن تتم لها مقاصدها العظيمة إلا من خلال هذا المعنى الكبير.**

ما لم يشعر الإنسان بأخيه، ويهب له من ماله، ويدفع لأنسه من مشاعره، ويمنحه وجدانه، ويمد يده إليه وكأنما يهب لنفسه، فلن يبلغ هذا الدين مداه من واقعنا.

ولا أصدق على ذلك من مشهد **مؤاخاة الأنصار والمهاجرين في بداية الإسلام**، حين التزم كل أنصاري بحقوق هذه الأخوة، وشرع في تطبيقاتها في واقع الحياة.

قال أحد الأنصار لأخيه المهاجر: عندي زوجتان، انظر أيتهما أعجبتك أطلِّقها ثم تتزوجها.

وقال الآخر: عندي مزرعتان، انظر أيتهما شئت وخذها.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه**».



- **من الوعي والفقه: أن يدرك كل صائم جلالة هذا المعنى في حياته، ويقوم على تعميم واقعه في نفسه ومن حوله.**

إن هذه المشاهد التي يتم فيها **تبادل بعض أصناف الإفطار** بين البيوت والجيران واحد من مشاهد هذا المعنى، ووجود هذه المجموعات التطوعية، التي تحرص وسعها على **تفطير الصائمين** في التجمعات والطرقات العامة، وحرص بعض البيوت على ضيافة كثير من إخواننا المغتربين في بيوتها في الإفطار، من أكثر المشاهد التي تحيي مشاهد الإخاء، وتوسّع فيها، وتشكل صوره المبهجة في واقع الحياة.

فإذا انضاف إلى ذلك إهداء **كسوة العيد للمحتاجين**؛ كانت مشهداً آخر من مشاهد الحياة..

وكل موقف ومشهد يجل هذه الصور ويوسّع فيها، ينبغي أن يأخذ حظه من التشجيع حتى يكون جزءاً من حياتنا جميعاً.



٢٨

الانضبـاط

الحمـــد لله ربِّ العالمين، والصلاة والســـلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

• في البخاري: مـــن حديث أبي هريـــرة رضي الله عنه، قال: قال ﷺ : «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

دعـــوة صريحة فـــي أنّ ثمَّـــة مقاصد عظمـــى لهذه الشريعة، فليس الشأن أن تترك طعامك وشرابك فحسب، وإنما لا بد أن تنضبط كل رغباتك وشـــهواتك، وتصبح عبداً منقاداً لربك في كل شـــيء؛ **فالمســـألة أكبر من قضية تَخَلٍّ عن بعض شهواتك، بل هي تدريب وتأهيل لحمل هذه الشـــريعة، والقيام بتكاليفها كما أراد الله تعالى.**

وإذا تخيلت هذا الحديث بعمـــق أدركت هذا المعنى بجلاء، للدرجة التي قد يتم فيها الصائم ثلاثين يوماً،

ثم في النهاية لا شيء؛ لأنه لم يحقق مقاصد هذه العبادة في النهاية!..

حين تنضبط جوارحك، وتنقاد لأوامر الله تعالى، وتستجيب لشريعته، وتنضبط شهواتك بحكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ، تصبح فرداً مؤهلاً للحياة، وقادراً على إدارة شؤونها باقتدار.

• وإذا تأملت الحديث الآخر الذي في البخاري: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**قال الله: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**» علمتَ أن مسألة ضبط الإنسان وتأهيلَه مقصدٌ كبير من مقاصد هذه العبادة العظيمة.

«**فلا يرفث ولا يصخب**» أي: إن من آثار هذه العبادة أَلَّا يقع في محرم بكافة أشكاله وصوره، وليس من حقه كذلك أن يصيح ويخاصم، فإن ذلك خلاف مقصود هذه العبادة العظيمة.

بل إن هذه الشريعة تعطيه مخرجاً، وتبني له حلّاً، وتدلّه على تعظيم شهره وقيامه بحظ عبادته: «**فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**».



إن عرض لك في الطريق ما يكدّر خاطرك، ويشوّش فكرك، ويقلق مشاعرك؛ فلا تَنْقَد له، فإن صومك وعبادتك توجب عليك ألَّا تواجهه بشيء، وأن تلوذ بالصمت، وأن تنهض بتكاليف هذه العبادة، فلا تحدث شيئاً، مهما كانت العوارض في تلك اللحظة من عمرك: «**فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**».

فإن أردت أن تتخفف من رهق ذلك الذي يخاصمك فقل له: «**إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**».

- **إن هذه دعوة لكل صائم: أن ينضبط في حياته كلها، وأن تكون تصرفاته وردود أفعاله على وفق منهج الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ، ورمضان هو ميدان التجربة والتطبيق.**





٢٩

العيد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

• فهذه هي **أيام العيد**، هذه أيام الحياة: «**إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا أهل الإسلام**» كما قال ﷺ .

إن من حق كل واحد منا اليوم أن يستشعر هذا المعنى الكبير في واقعه، وأن يأخذ منه حظه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

- **كبروا يا أيها المسلمون** في بيوتكم، وأحيوا الأرض بهذه السُّنَّة التي كادت أن تندثر، اخرجوا إلى أسواقكم وطرقاتكم، ورددوا في العالمين: (**الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلَّا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد**).

تبدأ سنة **التكبير** من غروب شمس آخر يوم من أيام رمضان، إلى دخول الإمام مصلى العيد.



- **تجمّلوا والبسوا أحسن ثيابكم، وعبِّروا عن فرحكم، واشدوا بكل مباح**، فذلك من ديـن اللّٰه تعالى، ومن جمال منهجه وشريعته: (**اللّٰه أكبر، اللّٰه أكبر، اللّٰه أكبر، لا إلٰه إلَّا اللّٰه، اللّٰه أكبر، اللّٰه أكبر، ولله الحمد**).

- **قبِّلوا والديكم وأهليكم وأولادكم، ومدوا أيديكم إلى كل صديق، وتجاوزوا خلافاتكم**، وارسموا للعيد معناه، ولا تجعلوا للشـيطان نصيباً في مثل هذا الأيام، فتموت مباهج العيد من القلوب: (**اللّٰه أكبر، اللّٰه أكبر، اللّٰه أكبر، لا إلٰه إلَّا اللّٰه، اللّٰه أكبر، اللّٰه أكبر، ولله الحمد**).

- **كلوا تمراً**، ولا تخرجوا من بيوتكم إلَّا مفطرين.

- **اذهبوا من طريق وعودوا من طريق آخر**، وكثروا من شـهود اللّٰه تعالى لكم فـي الأرض، ولا تتخلفوا عن صلاة العيد.

- **تزاوروا فيمـا بينكـم**، وادخلـوا بيـوت جيرانكم وأصدقائكم وأرحامكـم وأقاربكم، فذلك من أعظم القرب في دين اللّٰه تعالى.

• **كثّروا في مشـاهد العيد**، ووسّـعوا في مباهجه، ولا يقعد بكم العجز عن مدِّ مسـاحة هذه المعاني، وأحسـنوا النية، وتفاءلوا، فالحق باقٍ والباطل زاهق، والنصر حليف

الإسلام من فجر التاريخ إلى قيام الساعة، وستأتي أيام الفرح ولو طالت مواعيد الانتظار: (**الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلّا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد**).

• والحمد لله تعالى على ما منَّ به علينا وعليكم من إتمام الصيام والقيام: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وهو المسؤول أن يجعله عيداً للأمة كلها، تجد فيها عزّها وقوّتها ومجدها بإذن الله تعالى.





الفهرس





